



أمل تحقيق الأبوة الصالحة هو أمل كل مؤمن صالح، تزوج ابتداء بنية تكوين بيت مؤمن، وإنجاب ذرية طيبة صالحة نافعة.. ولطالمنا بنى كل مؤمن في مخيلته قصوراً مشيدة من مستقبل طيب مشرق مع أبنائه وبناته، وتصور أن يخرجوا عباقرة ناجحين ، وعلماء أفتذاً ، وقادة صالحين ..

وظل الاب طوال حياته يجهد نفسه ويعتبها ويبذل المقدور من نفسه ومن ماله ووقته وخبرته، ليضعها على طبق مزين لأبنائه ليستفيدوا بها، لكن الواقع المؤلم عادة يفسد تلك الأحلام، ويقطع ذلك الاسترسال في الأمل، فيفجع الآباء في كثير من الأحيان بأبناء منحرفين أو مستهتررين أو تافهين أو مرضى نفسيين أو فاشلين .. أو غيره.

وعندئذ يطأ السؤال الأشهر والأهم برأسه ، **لماذا تفشل أبوتنا في أن تكون أبوة صالحة ناجحة؟**

إن كثيراً من الإجابات تحمل الأبناء المسؤولية الكبرى في ذلك، وتعود باللوم على الأمهات وعلى المجتمعات وغيرها، ولاشك أن كل هذه العناصر مؤثرة، لكننا هنا نحاول أن نمعن النظر في دور الآباء خصوصاً ونراه أساساً مهماً ورئيساً في نجاح بناء الأبناء، فالإنسان بطبيعته يحتاج إلى نموذج تطبيقي حي أمامه حتى يتصور الفعل الإيجابي المعين والسلوك الموجه فيصدق به ويتمثله في حياته، لذلك أرسل الله تعالى المرسلين وأمرنا بالاقتداء بهم: "أولئك الذين هداهم الله فبهدائهم اقتده" ، "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر..." ، فال فعل أبلغ من القول، وفعل رجل في ألف

رجل خير من قول ألف رجل في رجل.

والقدوة الصالحة من أعظم المعينات على تكوين العادات الطيبة حتى إنها لتبصر معظم الجهد في كثير من الحالات، والأبناء في بداية شبابهم يحبون المحاكاة والتشبه في السلوك والحديث وردود الأفعال، ولو خرج الأبناء فوجدوا نماذج طيبة صادقة قريبة منهم في بيوتهم لخرجوا يحاكونها بغير جهد يذكر.

ولعل من بركة توجيهاته صلى الله عليه وسلم لصلاة النوافل في البيوت وألا يجعلها الناس قبوراً فضل كبير للأثر في اقتداء الأولاد بذلك، فقد روى أبو داود أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "خير صلاة الرجل في بيته إلا الصلاة المكتوبة"، وقال: "تطوع الرجل في بيته يزيد عن تطوعه عند الناس كفضل صلاة الرجل في جماعة على صلاته وحده" صحيح الجامع. لكن الأبناء في استقائهم الخلق وتشربهم بالسلوك، لا يقنعون بمجرد الظاهر منها، بل يتعدون ذلك إلى مستويات أعمق بكثير مما يظن الآباء، فالآب يعيش في بيته على طبيعته بغير تكلف، وهو الأمر الذي يجعله يتصرف بما وقر في حقيقته وداخليته، والولد يقلد آباه فيما رأه منه على التكليف، والأبناء يلاحظون الصغير الدقيق من السلوك والأخلاق، كما يلاحظون كبيرها، وتؤثر فيهم صفات الأحوال كما تؤثر فيهم كبار الواقع.

والآب الصالح هو صاحب القلب السليم من الشبهات والشهوات، المقدم الآخرة على الدنيا، البازل جهده في إرضاء رب، المسارع للصالحات، المجتهد في تعلم العلم النافع وتطبيقه والعمل به، وهو كذلك الكريم في عطائه لولده العادل مع أبنائه، البار بوالديه، المتميز في عمله المتقن له، الأمين في تعامله، النافع لمجتمعه، الإيجابي في سلوك .. وغير ذلك من الفضائل كذلك فالآب الصالح الناجح هو الآب الرحيم العطوف بأبنائه وأسرته، الذي يمنحهم الحب والعطف والحنان، ويشملهم برعايته ويحتويهم بقلبه الكبير، ويسعدون معه بالسعادة والأمان.

والآب القاسي هو المتسبب الأول في الأمراض النفسية لدى أبنائه، والمشجع الأول على الأمراض القلبية لهم من غل وحدق وحسد وحب ذات وغيره.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم خير قدوة في رحمته وعطفه، وملائكته الصغار وملاعبهم والتبسيط معهم والتحبب إليهم وعدم العبوس في وجوههم، فقد روى مسلم عن عبد الله بن جعفر: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل أحدنا بين يديه والآخر خلفه حتى يدخلنا المدينة".

وروى ابن ماجة عن يعلى بن مرة "خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ودعينا إلى طعام فإذا حسين يفر ه هنا وه هنا ويضاحكه النبي صلى الله عليه وسلم حتى أخذه فجعل إحدى يديه تحت ذقنه والأخرى في فأس رأسه فقبله". وروى الشیخان قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي فأتجاوز في صلاتي مما أعلم من وجد أمه من بكائه".

ومن الآباء من لا يراعي الرحمة مع أبنائه ولا الرقة في معاملتهم، فيكون أشد عليهم من الغرباء، فيترك في أنفسهم جروحًا غائرة لا تزول ولا بمرور السنين.

روى مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: "إن الله يحب الرفق، ويعطي على الرفق مالا يعطي على العنف وما لا يعطى على سواه"، وقال صلى الله عليه وسلم: "إن الله إذا أحب أهل بيت أدخل عليهم الرفق" صحيح الجامع. بالطبع ليس معنى الرفق أن يتهاون الآباء مع أولاده في مواطن الحزم، فالحكمة وضع الشيء موضعه، ولا يمكن أن يرى الآباء يفعل السيئات أو المخالفات فيتركه أو يقره على ما هو عليه، ولكن الحكمة تستدعي من كل آب أن يقف مع ولده وقفه راشدة رقيقة، لكنها حازمة يضع له فيها الحدود ويبين له القواعد.

وليعلم كل آب أن وقوفاته مع ولده تحفر في ذهن الولد، فإن وجد فيما يستقبل من عمره قدوة صالحة من أبيه زاد ترسختها

وصارت خلقا ثابتًا فيه وصفة أكيدة من صفاته..

والأب في بيته قائد لمدرسة تربوية لها منهج ووسائل كما أن لها محددات وأطر، فعليه أن يضع منهاجها وفق السنة النبوية ويحدد أطراه مثلاً حددها الشرع الإسلامي العظيم.

ولكن مع ذلك فلا ينبغي التشنج في التطبيق الظاهري فحسب، بل إن البيوت تبني من أساسها، لنضع الأساس لها، وأساسها هو بناء القلوب والعقائد والمفاهيم والقيم والمبادئ قبل أي شيء.

والآباء ماداموا يضطرون بمسؤولية القيادة التربوية، فيجب عليهم تثقيف أنفسهم وتعليمها فن التربية وأساليبها ومداومة سؤال المربيين والخبراء والعلماء في ذلك.

هذه التربية تقتضي تعلم الصبر الذي هو من المهارات الأبويّة الهامة، وقد حذر المربون من كثرة معاملة الأولاد بالغضب، خصوصاً إذا كانت طبيعة الأب عصبية أو سرعة الغضب واقرأ معي قوله سبحانه: "وَأَمْرَ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا" ولتحذر الآباء من التعدي على أبنائهم بالضرب أو الصراخ في لحظات الغضب، فإن ذلك من الأخطاء الخطيرة التي لا تؤدي إلى تعليم ولا توجيه ولكنها عبارة عن إنفاذ غيظ فحسب..

إن أبناءنا يتذمرون من الخبر والصواب بالحب قبل أن يتعلموا بالأمر والشدة، فاحرص أليها الأب على توليد المحبة بينك وبين أبنائك..

إن كل أب منا لبحاجة إلى أن يخلو بولده كل مدة قريبة ليمازحه ويكلمه ويسأله ويتقرب منه، يسأله عما يحزنه أو يؤرقه ويقلقه، ويسأله عن آماله وأحلامه وطموحاته، فيهون عليه ما يقلقه، ويثبته فيما يؤلمه، ويزيل عنه الهم، ويقدم له الدعم النفسي اللازم .. هذه هي الأبوة الصالحة بحق ..

إن لقاءات المصالحة والمصارحة بين الأب وابنه هي تفريغ نفسي وجذاني هام للغاية في تربية الأولاد، ولئن اشتكت معظم الآباء من عدم قدرتهم على التقرب من أولادهم فلأنهم قد قصرروا في لقاءات المصارحة تلك في الصغر فصعب عليهم ذلك في الكبر حتى بنيت الجدران بينهم وبين أولادهم .

وأخيراً لا يفوتنـي أن أتبـهـ أن هـنـاكـ عـلـاقـةـ قـوـيـةـ جـدـاـ بـيـنـ كـوـنـ أـبـ أـبـاـ صـالـحـاـ نـاجـاـ ، وـبـيـنـ كـوـنـهـ زـوـجـاـ صـالـحـاـ نـاجـاـ . فالزوج الناجح هو الذي يهـبـ لأـوـلـادـ الـبـيـةـ الـأـسـرـيـةـ الـخـالـيـةـ منـ المشـكـلـاتـ وـالـمـؤـرـقـاتـ وـالـمـنـفـصـاتـ وـالـمـؤـثـرـاتـ النـفـسـيـةـ السـلـبـيـةـ، وـهـوـ الـذـيـ يـعـيـنـ زـوـجـتـهـ وـيـسـاعـدـهـ عـلـىـ إـتـامـ الـعـلـمـيـةـ التـرـبـوـيـةـ بـنـجـاحـ وـإـنـجـازـ...

المسلم

المصادر: